أ. د. أبو المعاطي الرمادي
جامعة الملك سعود الرياض

زهد النبي ﷺ

الزهد هو الإعراض. زهد في الشيء أعرض عنه وتركه مخافة الحساب أو العقاب. وزهد في الدنيا: ترك حلالها مخافة الحساب، وترك حرامها مخافة العقاب. والزهد الانصراف إلى العبادة وترك ملذات الدنيا. والإعراض عنها احتقارا لها. ولا يعني الزهد في الإسلام ترك متع الحياة الدنيا كلية والإعراض عن ملذاتها. وحرمان النفس مما تشتهيه. كما يظن البعض: فلا حرمة في الأخذ المقنن من كل شيء، ولا قيود على التمتع بالملذات الحلال، إذا صحب الأخذ قناعة مع سخاوة النفس وسلامة القلب. ولعل غنى بعض صحابة رسول الله ﷺ وعدم إعراضه عنهم، أو رفضه لرغد عيشهم خير دليل على ذلك.

والزهد عبادة الأنبياء وأولي العزائم القوية من الصالحين القادرين على كبح جماح النفوس الميالة بطبعها نحو الشهوات والملذات. ونبينا ﷺ إمام الزاهدين في الدنيا وملذاتها. كان همه القرب من ربه والفوز برضاه، فعاش حياته على اليسير من متع الدنيا، يلبس الغليظ من الثياب، وينام على الحصير، ويتوسد وسادة حشوها الليف، ويركب الحمار، ويردف بعده، ويجلس على الأرض، وكان جل طعامه التمر والماء.

لقد وجد ﷺ الإعراض عن الدنيا بوابة الاقتراب، وترك ملذاتها مولج الرضا، فأعرض وترك، وعاش زاهدا في نعيم الدنيا، راغبا في خير الآخرة.

عن عبد الله بن عباس قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط تحتك الين منه؟ فقال: مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كراكب سار في يوم صائف، فقال تحت شجرة ثم راح وتركها. مسند أحمد. وعن ابن حيان، عن هشام، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كانت ضجعة رسول الله من أدم[1]، حشوها ليف. سنن أبي داود.

وسئلت حفصة، ما كان فراش رسول

الله ﷺ في بيتك؟ قالت: مسحا[2] نشيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي الليلة». قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك. قال: «ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطاءته صلاتي الليلة». رواه الترمذي .

وكان يفضل أن يشبع يوما ويجوع يوما على أن تكون له الجبال ذهبا، فالشبع يستلزم شكر المنعم وحمده، والجوع يقتضي التضرع له، فكان في شبعه يشكر، وفي جوعه يتضرع إلى ربه. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ عرض علي ربي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك. سنن الترمذي.

وما عرف عنه ﷺ أن شبع ثلاثة أيام متصلة من طعام أبدا. عن أبي حازم قال: رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مرارا ويقول: والذي نفس أبي هريرة بيده، ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله» صحيح البخاري. وكانت نار إعداد الطعام لا تشعل في بيته ﷺ لشهور. عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها -أنها كانت تقول: «يا بن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من

لقد كان رسول الله ﷺ مدرسة في الزهد، عرف حقيقة الدنيا، فعزف عنها وعن متاعها

الأنصار كانت لهم منائح[3]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم، فيسقينا»: صحيح البخاري.

لكنها لم تكن متع دائمة: ففي أحايين كثيرة كان ﷺ لا يجد ما يسد جوعه، فيطوف في طرقات المدينة علّه يجد من يطعمه، عن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجت ألقى رسول الله ﷺ أنظر في وجهه وأسلم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال، فقال رسول الله ﷺ: وأنا قد وجدت بعض ذلك، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلا كثير النخل والشاء، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه فقالوا لامرأته أين صاحبك؟ فقالت: يستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها[4]، فوضعها ثم جاء يلتزم[5] النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ أفلا تنقيت لنا رطبه، فقال يا رسول الله: إني أردت أن تختار ...» سنن الترمذي.

لقد كان ﷺ قنوعا باليسير من متاع الدنيا، زاهدا في أبسط النعم، إذا جاع ولم يجد ما يأكله ربط على بطنه حجرا ودعا ربه أن يرزقه بأقل القليل. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[6]، صحيح مسلم. وكان لا يبقى في بيته من هذا القليل إلا ما يحتاجه، وما فوق الحاجة يتصدق به. عن أنس قال: كان النبي ﷺ لا يدخر شيئا. سنن الترمذي. وما تبقى يجهز به الجيوش. فعن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف[7] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع[8] والسلاح عدة في سبيل الله. صحيح البخاري.

لقد كان رسول الله ﷺ مدرسة في الزهد، عرف حقيقة الدنيا، فعزف عنها وعن متاعها، وسخر جهده لنعيم الآخرة الدائم الأبدي، وجد في الإعراض طهارة للنفس من دنس السعي خلف ما هو زائل، وفي الترك عبادة ثوابها عن الله عظيم، فقاوم شهوات نفسه، وروض ميول قلبه، ففاز بالدنيا وبالآخرة.

الهوامش

١-أدم: جلد مدبوغ.
٢- المسح: كساء خشن من الصوف.
٣- المنائح: الشاة أو الناقة التي بها لبن.
٤- يزعبها: يحملها بصعوبة لامتلائها.
٥- يلتزم: يعانق ويقبل.
٦- قوتا: حاجة اليوم من الطعام.
٧- يوجف: يسرع السير.
٨- الكراع: الدواب الصالحة للحرب.